المحور الثاني :التطور التاريخي للبحث العلمي في مجال الفن الاسلامي

التطور التاريخي في النقد وعلم جمال الفن الاسلامي)بناء – تصميم – تحليل – تشكيل معماري(

العنوان : "القيم التشكيلية للفن الاسلامي والعناصر المعمارية الاسلامية ودورها في نشر قيم الدين الاسلامي

Sherifsaadat@yahoo.com مقدم من :م.د .شريف حسين حسني ابو السعادات

مدرس بقسم التصميم الداخلي والأثاث – كلية الفنون التطبيقية – جامعة بنها

:مقدمة البحث

يعتبر الفن الاسلامي من أعظم الفنون التي انتجتها الحضارات الكبرى، وكل الذين كتبوا عن هذا الفن يزعمون انه استمد عناصره ومقوماته من واتجاهاته التصميمية من الفنين الهلينستي والساساني، وهي فنون انتجتها .....اقوام من الجنس الهندي والأوروبي

كما ان اهم صفات العمارة الجيدة، التصميم الذي يشتمل على القيم الوظيفية والجمالية معاً، ومهما حاول المهندس المعماري مراعاة القواعد الفنية، ومحاولاته المضنية للتنفيذ الدقيق، يظل دائماً جمال العمارة وكمالها .كامناً في شخصية الفنان والمثالية المراد تحقيقها

وللعمارة الاسلامية شخصيتها وطابعها المميز الذي تتبينه العين مباشرة، سواء كان ذلك نتيجة للتصميم .الاجمالي أم العناصر المعمارية المميزة او الزخارف المستخدمة

وقد نبغ المهندس العربي في اعمال الهندسة المعمارية، حيث وضع الرسوم والتفصيلات الدقيقة اللازمة للتنفيذ، كما وضع الأرانيك والنماذج المجسمة، الى جانب المقايسات الابتدائية .ولاشك أن كل هذا يحتاج منه .الى التعمق في علوم الهندسة والرياضيات والميكانيكا

ان موضوع الجمال من الموضوعات التي شغلت الانسان منذ القدم وحتى الآن واذا حاولنا تفسير كل من القيمة الجمالية"و"النظرية الجمالية "في فن العمارة فالقيمة الجمالية هي من قبيل الاعتبارات التي يصبو العمل " الفني الى تحقيقها ويقابلها في المعنى انتماء الفكر الجماعي وولائه لمبدأ معين، ويكون هذا الانتماء بشكل لا إرادي وبدون القصد او العمد لإيجاده ، على

.ان يبقى هذا المبدأ كسبب اساسي لملائمة العمل الفني مع روح المجتمع

:وبالتالي يتحدد المعنى المقصود من

القيمة الجمالية :بأنها تلك الأسس التي يوجدها التزامنا التلقائي بها في اعمالنا الفنية عند تشكيلها وعند .حكمنا عليها

أما النظرية فهي اجتهاد – قد يكون – فردياً في محاولة لتفسير مسألة أو ظاهرة أو قضية، أو ربما .اكتشاف لخاصية معينة، سواء في الأشكال أو الألوان .....إلخ

وقد أكد مفكري القرنين 16،17 في أوروبا وجود الجمال في الشئ، أي موضوعياً أما مفكري القرن 18 .بوجه عام فقد أعطوا رأيهم لصالح الجمال الذاتي، أي نتيجة تذوق الإنسان له

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين حاول مفكري هذين القرنين إعطاء أساس علمي لتفسير ظاهرة .الجمال

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نستشف تلك الأساسيات الجمالية المتفق عليها، والتي يجتمع عندها الذوق .البشري بصفة عامة

:مشكلة البحث

- .غياب الطراز الاسلامي في التصميم المعماري والداخلي
- غياب القيمة الجمالية التي تتمثل في الأسس التي يوجدها التزامنا التلقائي بها في اعمالنا الفنية عند .تشكيلها أو الحكم عليها

:هدف البحث

- .ابراز القيم التشكيلية للفن الاسلامي والعناصر المعمارية الاسلامية ودورها في نشر قيم الدين الاسلامي
- . التأكيد على أهمية دور العناصر المعمارية الاسلامية في العمارة
- تعظيم دور الفنان المسلم وابراز الفارق بينه وبين الفنان المعاصر

.أولاً :تسلسل الدولة الإسلامية في الحكم

أول من حكم مصر من أمراء المسلمين فاتحها عمرو بن العاص الذي ولى عليها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم توالى عليها الولاة من قبل الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين، وذلك من سنة 20هـ)640م (الى سنة 254هـ)868م (ولم يبق من عصر الخلفاء الراشدين سوى جامع عمرو، وتم تجديده واصبح يمثل عدة عصور، ومدينة الفسطاط وهذه رغم تمثيلها لعصور مختلفة منها سوى .إطلالها

- **الدولة الطولونية سنة 254– 292هـ)868–904م(**
- **الدولة الإخشيدية سنة 324–358هـ)935–969م(**
- **الدولة الفاطمية سنة 358–567هـ)969–1171م(**
- **الدولة الأيوبية سنة 567–648هـ)1171–1250م(**
- **دولة المماليك البحرية سنة 648–784هـ)1250–1382م(**
- **المماليك الجراكسة سنة 784–923هـ)1383–1517م(**
- **الدولة العثمانية سنة 923–1213هـ)1517–1798م(**

:ثانياً :المعايير التي يقوم عليها الفن الإسلامي

إن الفن الإسلامي لم يستهدف محاكاة الطبيعة عند معاجة الموضوعات الفنية في مشروعاته المختلفة، بسبب طبيعة كامنة في العربي تهديه إلى تحديد وضعه في هذا الكون العظيم، كما أن بيئته سواءً أكانت صحراوية أم زراعية .جعلت لصياغته الفنية ملامح مميزة

:ومن المعايير والخصائص التي أثرت في الفن الإسلامي

كراهية تصوير الكائنات الحية :كان رسم الكائنات الحية شائعاً في الوطن العربي قبل الإسلام وكان يبتعد عن المحاكاة أو يقترب منها طبقاً للظروف المختلفةالتي تكون سائدة .ولكنه لم يستهدف المحاكاة الحرفية التي نراها في الفن الإغريقي والروماني ثم في عصر النهضة في أوروبا، الإختلاف أساسي في الهدف والغاية الإجتماعيةمن الفن، بل إن الأقاليمالعربية في فترة النفوذ الإغريقي، حرصت على التخلص من سيطرة الفن الإغريقي والإبتعاد عن أساليبه في تصوير الكائنات الحية والعناصر النباتية . ويؤكد هذا الرأي الأساتذة ل.برهير L.Brehier، هـ.تراس H.Terrasee، نيلسن Niel-sen، لامانس Lammans، حيث تثبت أن الأساليب التي تمخض عنها الفن الهلينستي في آسيا الصغرى والشام ومصر بدأت في البعد عن تصوير الإنسان والحيوان .وقد إستقر رأي الكثيرين من المفسرين والفقهاء على أن القصد من هذا التحريم هو إبعاد المسلمين عن عبادة الأصنام التي كانت سائدة عند كثير من القبائل العربية ....ولايكون حراماً إذا قصد به الزينة المباحة .أما العلماء ورجال الدين العرب المعاصرون فيبيح أغلبهم التصوير مادام لايصرف المسلمين عن العقيدة أو العمل .....وفي ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده "يوجد في دور الآثار عند الأمم الكبرى ما لا يوجد عند الأمم الصغرى من الرسوم والنقوش، يحققون تاريخ رسمها واليد التي رسمتها...."

ومن الملامح التي تميز الفن الإسلامي ما يأتي:

1- مخالفة الطبيعة :وهي تأكيد لمدلول اللامحاكاة، وهي الإتجاه الذي كان سائداً في الأقاليم العربية قبل الإسلام.

والفنان المسلم يواجه الطبيعة لكي يتناول عناصرها ويفككها الى عناصر أولية، يعيد تركيبها من جديد في صياغة طروبة عذبة .وهو لا يفكر في محاكاة الطبيعة لأن هذا هدف لا يسعى إليه ولا يعنيه.

وأكثر ما يشبه الفن الاسلامي في ذلك بعض حركات الفن المعاصر، فالفن التكعيبي مثلاً يقوم على صياغة ايقاعية جديدة للعناصر الطبيعية بعد تحليلها الى سطوح واحجام هندسية.

والفارق بين الفنان المسلم والفنان المعاصر أن الفنان المسلم حقق فاعليته الفنية التي إستشعرها في نفسه نفسه تعبيرا عن موقفه ازاء الطبيعة، أما الفنان المعاصر فإنه يعبر عن فلسفته عقلية منطقية.

2- تصوير المجال : إن مخالفة الطبيعة واللا محاكاة تؤدي حتماً وبخاصة بالنسبة للفنان المسلم الذي يهوى الإستطراد، إلى خلق أشكال جديدة لانظير لها في الطبيعة إطلاقاً.

وهنا نجد إرتباطاً واضحاً بين الأسطورة الشعبية وبين فنون التشكيل من حيث معالجة الأشكال الحيوانية المركبة أو الخرافية.

- تحويل الخسيس الى نفيس : من المسلمات في العقيدة الاسلامية العزوف من الاستغراق في بهرج الحياة باعتبارها عرضاً زائلاً.

وقد ضرب الخلفاء الراشدون في حياتهم الخاصة والعامة أروع الأمثلة للتقشف والتوسط في كل أمور الحياة.....

وكانت مسئولية الفنان أن يحقق مطالب المجتمع التي يستشعرها هو أيضاً في أعماق نفسه، وقد إستطاع الفنان العربي الوصول إلى حلول إبتكارية حقق بها التوازن بين هذه المبادئ وبين الثراء العظيم الذي يعيش فيه الخلفاء والأمراء .....

ومن الأمثلة للحلول الإبتكارية التي توصل إليها الفنان العربي في تحقيق هذه المثالية زخرفة المحراب المصنوع بخامات الخشب أو الصلصال المزجج أو الجص ، وهي أرخص الخامات.

- الانصراف عن التجسيم والبروز :والملاحظ أيضاً أن الفنون الإسلامية تبتعد عن التجسيم ابتعادا واضح الأثر في كل ما أنتج فيها من أعمال.....

ويقول "فييت "إن الفنان المسلم ينصرف عادة عن النقش والحفر إلى الزخرفة السطحية الخالية من النتوء أو البروز ...

أما "رينيه ويج "محاولا أن يثبت أن الفن في الغرب غير محروم من القيمة الروحية التي تقوم على إذابة مادة الجسم .وبالنسبة للزخارف المحفورة والبارزة ، نلاحظ أن الفنان المسلم لم يبالغ في تعميق الحفر ولا في بروزه ....وظاهرة التسطيح التي نتبينها في الزخارف الإسلامية تنطبق على جميع الزخارف المنفذة في الخامات المختلفة ، في الفنون التطبيقية والمعمارية.

- التنوع والوحدة :وهناك ظاهرة أخرى من الظواهر الهامة التي تبرز شخصية الفن الاسلامي ، وهي تقسيم السطح إلى مساحات ذات أشكال هندسية مختلفة ...داخل هذه الأشكال نجد الوحدات الزخرفية المستمرة من العناصر النباتية أو الأشكال الهندسية أو الحيوانية أو الخطية ...وقد تكون هذه الوحدات مجمعة في مساحة واحدة .

ويقول "فييت "إن الفنان المسلم يطالعنا في جميع تفاصيل أثره ، على إجتهاد متواصل، ينفي الإكتفاء بالمظهر الأول ، فهو سلسلة من الأوضاع الزخرفية، يتقن الفنان كلا منها لنفسه، وبصرف النظر عن مجموعه الكلي ".

- القيم التشكيلية في الفن الإسلامي :إن المعيار التشكيلي البحت هو الوسيلة التي تمكن الباحث من معرفة مظاهر الجمال التي يتميز بها أي فن من الفنون دون الإهتمام بمضمونه .ولا يخلو أي عمل فني تشكيلياً من بعض العناصر الفنية التشكيلية وهي الخط ، المساحة ، اللون ، الظل ، النور ، ملامس السطوح ، الحيز.

وأن علاقة هذه العناصر بعضها بالبعض الآخر أو ما تشتمل عليه من إيقاع هي التي تعطي للعمل الفني صفة الجمال حيث أن الطبيعة نفسها لا تخلو من هذه العناصر .

ويفرق أفلاطون بين الشكل النسبي والشكل المطلق ...ويعني بالشكل النسبي كل شئ جماله قائماً في طبيعة الأشياء ويكون تقليداً لتلك الأشياء الحية ...أما الشكل المطلق فهو الهيكل الذي يحتوي على خطوط ومنحنيات وسطوح وأحجام مستخرجة من هذه الأشياء الحية عن طريق المساطر والمربعات والمساحات.

ويوازن هذا الخط الثابت الطبيعي المطلق بنغمة صوتية نقية ، ولا يكون جماله لنسبته إلى شئ آخر ، وإنما يستمد جماله من طبيعته المتقنة .

- الخـــــــــــــــط : من أهم العناصر التشكيلية، وإذا تتبعنا وظيفته في الفن الإسلامي نجد أنه يلعب دورا أساسياً وبخاصة في العناصر الزخرفية، ويكاد يستعمل الخط لذاته دون أن تكون له دلالة موضوعية .

: ونجد في منتجات الفن الاسلامي نمطين من الخط

. الأول :الخط المنحني الطياش الذي يدور هنا وهناك في حدود المساحة المخصصة للزخرفة فقط

والثاني :الخط الهندسي الذي تكون وظيفته تحديد المساحات التي تتكون منها حشوات ، وتتجه نحو الدقة والصغر كلما إزدهر الفن .....وهو يعطي إحساس بالإستقرار والثبات.

ويقوم الخط بوظيفة أخرى وهي سلب صفة التجسيم عن بعض الأشكال الآدمية والحيوانية وتحويلها إلى عنصر زخرفي بحت يتصف بالخفة والرشاقة كما نرى في الصورة باسفله.

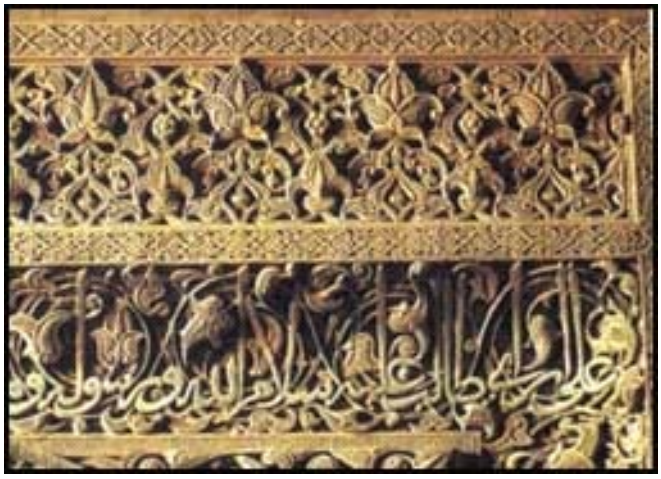

والخط المنحني الدوار يتميز بالرشاقة وإثارة لذة جمالية خاصة ، أما الخط الهندسي فله جماله الرياضي الذي يستشعره العقل .ومحصلتها تعطي نتيجة جمالية رائعة.

وتتحدد صفة الخط بالآداة والخامة التي ينفذ بها ، فهو في أشكال المعادن غيره في أشكال الخشب مثلا.

- **اللـــــــــــــــــون** :واللون صفة طبيعية من صفات الأشياء .فهو مرتبط إرتباطاً شديداً بالنور . وإن مصدر جمال كثير من الأشياء مستمد من الوانها –

وهناك إستعمالات مختلفة للألوان في العمل الفني ، منها إستعمال اللون لذاته أي لقيمته الجمالية الخاصة .. حيث أن الألوان يستعمل في الفن الإسلامي لتأدية الوظيفة الجمالية أساساً وتستعمل الألوان الزرقاء والخضراء والذهبية بكثرة إلى جانب مساحات محددة من الأحمر ، البني ، الأصفر.

وأستعمل الفنان المسلم ألوان الخامات الطبيعية إستعمالاً جمالياً نتيجة إبراز جمال لون الخامة والدمج بين هذه الخامات المختلفة كالخشب بألوانه المختلفة.

قصر الحمراء ويظهر فيه براعة الفنان المسلم في اللعب باللون من خلال الاحجار الحمراء والارضية البيضاء

لإبراز الجمال المعماري

- **الظـــل والنـــور** : ويؤدي اللون في كثير من الأحيان وظيفة النور ....ذلك لأن اللون يستعمل لذاته من جهة ، ومن جهة أخرى لأن الألوان التي تستعمل ألوان نقية فهي تعبر عن النور والظلمة دون أن تتعرض لكتلة الحجم والفراغ.

أما الظلال فهي تحدث في الغالب من الأجزاء المزخرفة البارزة على الأرضية ، والظلال تساعد في التجسيم ، وإنما وظيفتها جمالية تشكيلية ، تعطي النبرة والتنوع الجمالي الخالص كما نرى في واجهة المسجد بالصورة السفلية.

- ملامس السطوح :والفن الإسلامي من أغنى الفنون في التنويع الموجود في سطوح المباني أو التحف أو الأعمال التطبيقية المختلفة ، ويستغل الفنان المسلم القيم اللمسية لسطوح الخامات الطبيعية ومنوعاً في إتساع العنصر الزخرفي أو دقته ، وفي الظلال التي تلقيها العناصر على الأرضية ، للوصول إلى أعلى قيمة جمالية في الملامس ونرى ذلك جلياً في الصورة التالية التي تجسد تلك المعاني.

- الإيقـــــــــاع :إن الإيقاع على فترات مألوفة متساوية ....ظاهرة مألوفة في طبيعة الإنسان نفسه كضربات القلب المنتظمة أو النوم أو اليقظة بإنتظام .

."RYTHM" والخاصية الأولى التي إذا توافرت في العالم المحيط بنا ، تحقق لنا ما نسميه إيقاعاً

وقد أصبح الإيقاع ضرورة بيولوجية لحياة الإنسان ، وأصبح كل عمل يؤديه لابد أن يكون خاضعاً لنوع من الإيقاع ..فهو في أثناء عمله يقطع ويدق ويسخن وينقر ويشكل وكلها تمثل سلسلة من الإيقاعات ، فيها مشاركة لإيقاعات الطبيعة .

إن كل عنصر من عناصر العمل الفني كالخط واللون والنور والظل وملامس السطوح لابد ان يحقق نوعاً من الإيقاع في ذاته.

والإيقاع في الفن الإسلامي يعتمد على الخط اللين والهندسي، وتعدد المساحات في توزيعها والإيقاع الخطي المتراقص يوحي بالحركة .

صورة توضح الإيقاع في الفن الإسلامي الذي يعتمد على الخط اللين والهندسي

وتعدد المساحات في توزيعها والإيقاع الخطي المتراقص الذي يوحي بالحركة .

وقد نبغ المهندس العربي في أعمال الهندسة المعمارية حيث وضع الرسوم والتفصيلات الدقيقة اللازمة للتنفيذ ، كما وضع الأرانيك والنماذج المجسمة ، إلى جانب المقايسات الإبتدائية .

ولا شك أن كل هذا يحتاج إلى التعمق في علوم الهندسة والرياضة والميكانيكا ، وقد سجل لنا التاريخ أسماء الكثيرين من نوابغ المهندسين العرب الذين وضعوا تصميمات المباني العربية العظيمة.

وهناك أنواع كثيرة من المباني الإسلامية – ومن أهمها:

أولاً :المساجد :أصبح للمساجد الإسلامية نظام لا تخرج عنه ، مستمد في أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أنشئت مدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة ، وكانت هذه المدارس مساجد في الوقت ذاته ، كما كان يلحق بالمبنى أماكن لسكن الطلبة والمدرسين.

وقد كثر إنشاء المساجد التي على نظام المدارس منذ القرن الثالث عشر في أغلب الأقطار الإسلامية.

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أنشئت مدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة ، وكانت هذه المدارس مساجد في الوقت نفسه ، كما كان يلحق بالمبنى أماكن لسكن الطلبة والمدرسين.

وكان تصميم المدرسة عبارة عن صحن سماوي به إيوانات بقدر عدد المذاهب التي تدرس ، وكانت مداخل المساكن تقع في أركان الصحن يصعد منها الطلاب إلى مساكنهم في الأدوار العليا وفي بعض الأحيان كانت هذه المدارس تضم أضرحة منشئيها .وقد كثر إنشاء المساجد التي على نظام المدارس منذ القرن الثالث عشر في أغلب الأقطار الإسلامية.

ثانياً :الأضرحة :وتسمى أيضاً قبة أو تربة ، وهو البناء الذي يقام على رفات ولى أو حاكم ، ويوضع فوق القبر تركيبة من الخشب المنقوش أو من الرخام أو الحجر ، وأغلب ما كانت تبني الأضرحة على شكل قبة أو

أبراج أسطوانية ذات سقف مخروطي ، حسب البلاد التي تقام فيها ، وكثيراً ما ألحقت الأضرحة بالمساجد التي أقامها منشئ الضريح.

ثالثاً :الأربطـــــــــــــة :نوع من الثكنات العسكرية التي يقيم فيها المجاهدون الذين يحمون حدود بلادهم بحد السيف . وقد إنتشرت هذه الأربطة في جهات مختلفة وبخاصة في شمال إفريقيا . ويغلب أن يكون التخطيط على شكل المستطيل ، حوائطه القوية الخارجية مزودة بأبراج ، وفي الداخل فناء تحيط به حجرات صغيرة للسكنى ، كما نجد به مسجداً .أما التحصينات العسكرية فنجدها بكثرة في مختلف الأقطار ، سواء اكانت هذه التحصينات قلاعاً أم أسواراً للمدن أو القصور ، مزودة بأبراج ومزاغل ونجد أمثلة لهذه التحصينات في مصر والشام وبلاد المغرب.

رابعاً :الخوانق والتكايا :والخانقاه هو البيت الذي يأوي إليه الصوفية للعبادة والنسك أما التكايا فقد إنتشرت في العهد العثماني لإيواء الدراويش المنقطعين للعبادة..

خامساً : الأسبلـــــــــة : وهي الأماكن التي يرتوي منها المارة عند العطش . وتقام مستقلة أو ملحقة بالمساجد أو الكتاتيب التي يتعلم فيها الصبية القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم ..

سادساً الخانـــــــات :وتسمى الوكالات ، وهي مخصصة لإقامة المسافرين وقوافل التجار ، وكانت ذات مداخل ضخمة وصحن تربط فيه الدواب ، وحواصل مفتوحة على الصحن لإيداع البضائع ، والأدوار العليا للسكن ، وتفتح الحوانيت على الشارع.

سابعاً : الأســـــــــواق :وكانت ذات أهمية بالغة ، وترتكز في أماكن معينة في المدينة ، وتمتاز بقبواتها العظيمة وعقودها الضخمة .

ثامناً :الحمامـــــــات :كانت تنتشر في جميع المدن ، ويقسم الحمام إلى ثلاثة أقسام حسب درجة حرارة المياه ، وكانت تسخن المياه بطريقة إيقاد النار تحت أرض البناء ، كما كانت المياه تجري في أنابيب في الجدران

وكانت حوائط الحمامات في الداخل تزين بالصور بقصد الترفيه عن المستحمين وإدخال الراحة والسرور ... .. على نفوسهم

تاسعاً :المساكن الخاصـــــــة :إن أغلب القصور والمنازل الإسلامية القديمة إندثرت تماماً ولم يبق إلا ما رواه المؤرخون عن عظمتها وإتساعها وكثرت المرافق فيها، وما كانت تحتويه من زخارف وتحف وحدائق، وكانت القصور في الشام والعراق والأندلس عظيمة الإتساع ذات إيوانات وأعمدة وعقود ، وزخارف جصية وصور ...جدارية ونوافير

أما المنازل فلم يبق إلا نماذج قليلة .والمنزل من الخارج يكاد يكون خالياً من الفتحات إلا بعض النوافذ العالية لإدخال النور والهواء ...ويتوسط المنزل صحن أو حوش سماوي يطل عليه "تختبوش "أو مقعد يجلس فيه صاحب المنزل في الصيف ، وفي الدور الأرضي نجد غرف المخازن والإصطبلات، وفي الدور الثاني غرف النوم وقاعات الإستقبال ، وكلها تطل بنوافذ على الحوش ، وبعضها له خارجات من الخشب المخروط تسمى ....مشربيات

وأهم أجزاء الدار "القاعة "الكبرى في الطابق العلوي وهي غرفة مستطيلة تنقسم إلى أقسام ، أو سطل مربع وأرضيته منخفضة عن ارضية الجزئين الأخريين ، وسقفه أعلى من سقفها ويسمى الجزء الأوسط "درقاعة " ويعرف الجزآن الآخران بالإيوانين ، ويغطى سقف الدرقاعة بشخشيخة محلاة "بالقمارى "أي المنافذ الجصية المزينة بعناصر نباتية أو خطية وتغطى بالزجاج الملون .وتكسى أرضية الدرقاعة بالفسيفساء ، وأحياناً يكون في وسطها فسقية .وفي القاعة خزانات خشبية مثبتة في الجدران .والسقف خشبي ومزخرف بالنقوش الملونة.

العناصر المعمارية الإسلامية

-:تشتمل العمائر الإسلامية على عناصر معمارية مميزة أهمها ما يأتي

المـــــــــــآذن :ربما كانت المآذن من أهم العناصر المعمارية التي تعطي للمسجد شخصيته المتميزة .ولم يكن للمساجد الأولى التي أنشئت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مآذن .وأقدم المآذن القائمة الآن هي

صومعة "جامع سيدي عقبة بالقيروان التي شيدت في عهد هشام بن عبد الملك سنة 247هـ – 728 م "

وتعتبر القاهرة متحفاً للمآذن ذات الأشكـال المختلفة ...ومن أقدم المآذن المصرية القائمة مئذنة مسجد أحمد بن طولون التي تقع خارجه وهي فريدة لا نظير لها في مصر

ومنذ العصر الفاطمي بدأت المآذن المصرية تاخذ طابعاً مميزاً ، ومن أقدم المآذن الباقية هذا العصر مئذنتا .. جامع الحاكم

وفي العصر الأيوبي كسيت القاعدة المربعة بزخارف جصية ....وفي فلسطين وجزيرة العرب شـــاع الطراز المصري المملوكي ثم الطراز العثماني ، وإذا تتبعنا مئآذن سوريا القديمة لوجدنا أكثرها مربع، كما نشاهد في مساجد دمشق وحماة وحلب ، ثم اصبحت في العصر الفاطمي والأيوبي وأول المملوكي :مربعة إلى الدورة ....الأولى ثم إسطوانية او مثمنة البدن ، وتنتهي بخوذة كروية أو مخوصة

وفي إيران كانت المآذن الأولى في الغالب مثمنة الشكل ، ثم إنتشرت المئآذن الإسطوانية منذ القرن الحادي عشر .وأصبحت تجمل بالزخارف الهندسية ... وفي الهند شيدت المساجد في أول الأمر من غير مئآذن ، ثم .أضيفت المآذن الإسطوانية والتي تضيق كلما إرتفعت

صورة توضح مئذنة مسجد أحمد بن طولون وهي أقدم مئذنة في مصر التي صنعت من الحجر الأسواني

لتقف شامخة كدليل على عظمة الفنان المسلم

القبـــــــــــــاب :كان إستعمال القباب معروفاً في الأقاليم العربية قبل الإسلام كما عرفها الساسانيون والبيزنطيون .

وقد إنتشرت القباب في العالم الإسلامي وأصبحت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية ..وتعتبر قبة الصخرة التي شيدها عبد الملك بن مروان 72 هـ – 692 م من أقدم نماذج القباب الإسلامية.

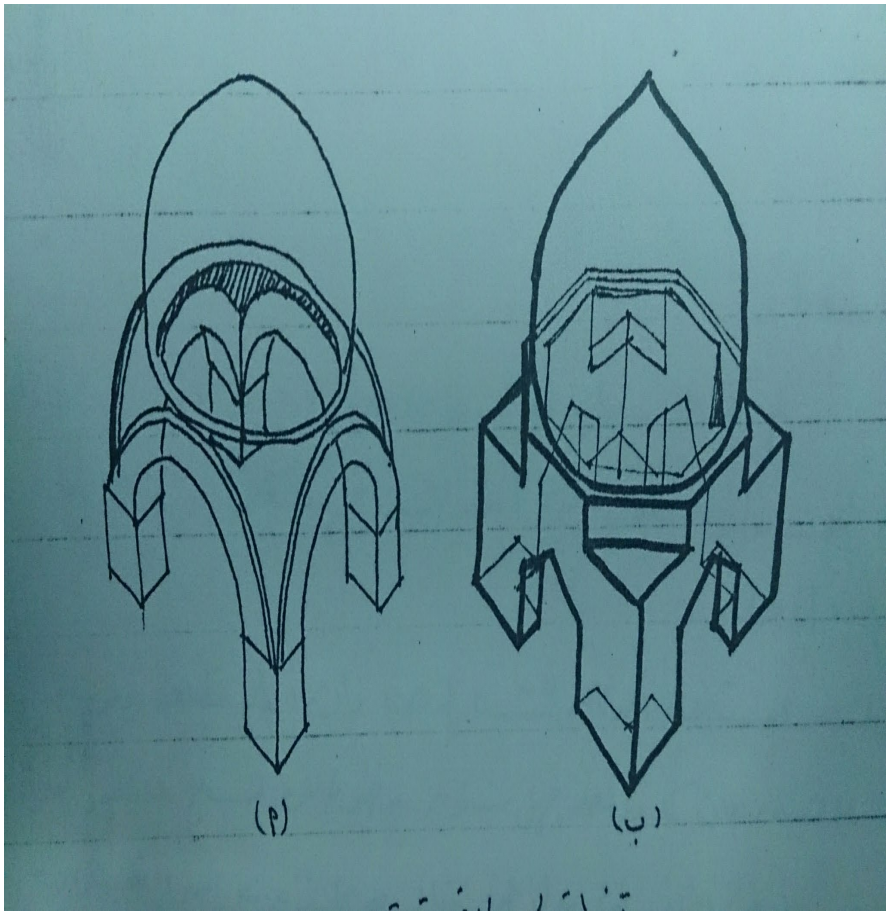

تغطية الحجرة المربعة بقبـــــــــــــــــة

.)أ (تحويل المربع بطريقة المثلثات الكروية

وفي العصر العباسي نجد نموذجاً للقبة في مدخل مدينة بغداد المستديرة وتم الإنتقال من المربع إلى الدائرة بطريقة عمل أربعة محاريب في الأركان .أما ابدع القباب فنجدها في مصر وسوريا ، وأقدمها في مصر يعود إلى العصر الفاطمي وفي العصر المملوكي ظهرت أنواع كثيرة من القباب منها نصف الكروية والمضلعة والبيضاوية . كما ظهرت قباب كبيرة ذات مناور

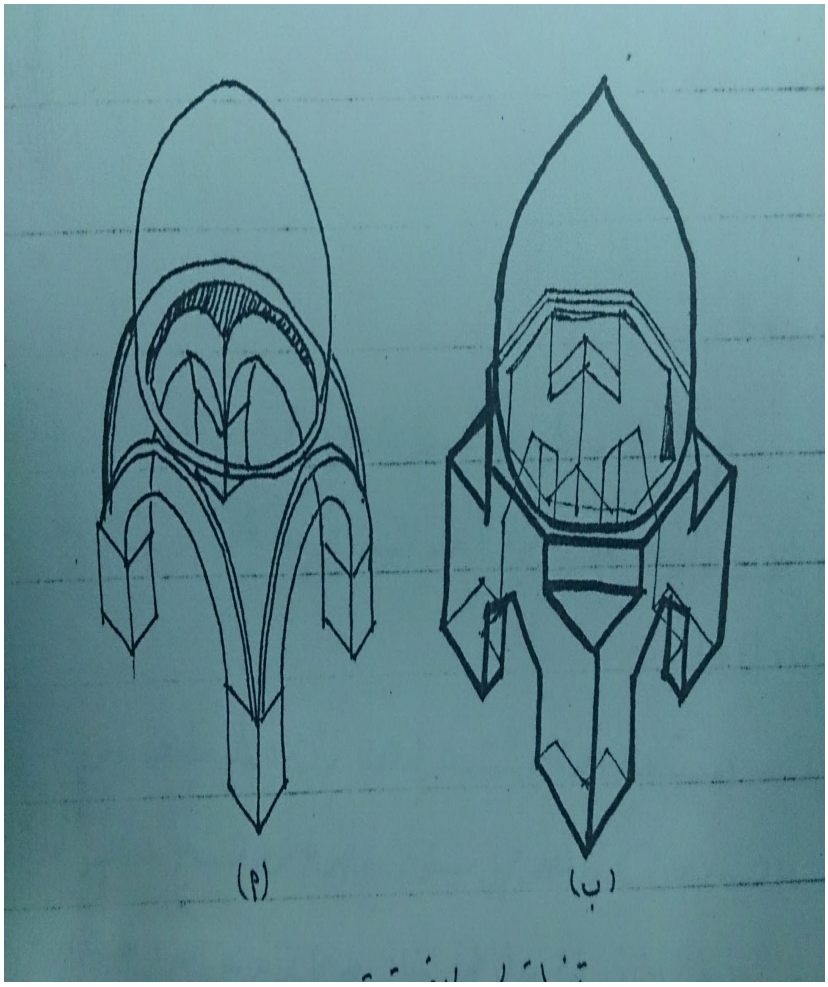

تغطية الحجرة المربعة بقبـــــــــــــــــة

.)ب (تحويل المربع بطريقة الطاقـــــــات الركنية

وعرفت مصر القباب الخشبية ، ومن أجمل نماذجها قبة الإمام الشافعي ...وفي عهد المماليك الجراكسة بنيت .القبة بالحجر ، وتنوعت زخارفها ما بين هندسية أو مورقة

وفي المغرب تسمى القبة "مربوط "ونجد أغلب القباب على أشكال نصف كروية ...أما في الهند تكون القباب . ذات رقاب قصيرة على شكل بيضاوي أو على شكل زهرة اللوتس)تاج محل في أجرا (

.... اما الطراز التركي فقد إستمد أشكال قبابه من طراز قبة "أياصوفيا "، وهي على شكل نصف الكرة

الأعمـــــــــــدة : لم يكن للمسلمين طراز خاص من الأعمدة في أول الأمر ثم بدأ ظهور العامود .الإسلامي الذي أخذ بالتدريج شكلاً يميزه عن الأعمدة في الطرز الأخرى

وفي السند أستعملت أعمدة من الخشب المذهب ذات أبدان مضلعة ومزينة بمرايا على هيئة مربعات كما في قصر "جهل ستون "وظهر في القرن السابع عشر الميلادي ...وقد ظهر الطراز العثماني نوع من الأعمدة ... "إمتاز بما في بدنه من "خشخان "أي تقوير متعرج أو على هيئة "معينات

وكثيراً ما أستعملت الأكتاف في العصر العباسي أو الطولوني في مصر ثم في بعض المساجد في العصر الفاطمي .وكانت إيران تقبل على إستعمال الأكتاف بدلاً من الأعمدة ..

أما التيجان فقد أبتكر المسلمون أنواعاً مختلفة منها الرماني ذو القطاع الدائري أو القطاع المثمن ، أو على شكل الهرم الناقص المقلوب أو الناقوس ..وأقدم التيجان الإسلامية التاج الناقوسي الذي ظهر أول مرة في ....باب العامة "بقصد الجوسق الخاقلي بسامراء"

صورة لمسجد السلطان حسن ويتجلى فيها إبراز الفنان المسلم لتاكيد دور العامود الإنشائي

والمعنوي الذي يحمل المبنى بكل شموخ وقوة

العقـــــــــــود :أستعمل المسلمون في عمائرهم أنواعاً مختلفة من العقود حسب الأقاليم الإسلامية ، وقد أستعملت في أول الأمر العقود نصف الدائرية ثم العقد المدبب الذي ظهر في عقود مجاز المسجد الموي ....بدمشق

أما عقد نعل الفرس فهو عقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد ويتألف من قطاع دائرة أكبر من نصفها ويكثر إستعماله في الأندلس وبلاد المغرب...

أما عقد نعل الفرس المدبب "المخموس "فهو عبارة عن قوس دائرتين ويرتد إمتداده من أسفل عن خط إمتداد كتفي العقد ...وكذلك يوجد العقد ذو الفصوص ، العقد المزين باطنه بالمقرنصات وكذلك العقد ذو الثلاثة فصوص مثل "السلطان حسن "، والعقد الفارسي وقد ظهر في بلاد الفرس ثم في تركيا والهند ...كما يوجد العقد المستقيم وهو ينتشر في أغلب البلاد الإسلامية.

صورة يتجلي فيها دور العقد الانشائي والتصميمي في المسجد الأموي بدمشق

المداخـــــــــــــل :أتبع في سوريا نظام المداخل الثلاثية المحورية ثم أنتقل إلى شمال أفريقيا والأندلس ومصر "الظاهر بيبرس "وفي مصر توضع داخل جحور شاهقة عميقة تمتد في الغالب إلى إرتفاع البناء كله ويحف بالباب من الجانبين مكسلتان، ويغلب أن تكون قمة الجحر ربع كروية محمولة على مقرنصات أو نصف قبة مخموسة.

المقرنصـــــــــات :تستعمل المقرنصات كعملية معمارية إنشائية أو كحلية زخرفية ، ففي الحالة الأولى تستعمل لتحويل الحجرة المربعة إلى دائرة عن طريق عمل طاقات أو محاريب ، وفي الحالة الثانية تستعمل

كحلية زخرفية ترى في العمائر مدلاة بعضها فوق بعض في واجهات المساجد والمآذن ، أو في تيجان بعض الأعمدة وفي الأسقف الخشبية وهي تدل على غرام الفنان المسلم بالأشكال الهندسية ، والتفنن في إستعمالها لتحقيق أهداف زخرفية...

صورة لأكبر مقرنصات موجودة في مسجد السلطان حسن

سمـــــــــات التذوق الجمالي عند مسلمي الجزيرة العربيـــــــــة :كان لظهور الدين الإسلامي أثر عميق في تغيير وجهة النظر الجمالية لدى الإنسان العربي بالنسبة للدنيا من حوله ..فقبل الإسلام كانت معرفته بالجمال حسية بسيطة غير متعمقة.

وكان "يدرك الجمال إدراكاً بسيطاً وهو في الوقت نفسه إدراك مباشر كان مصدره الحس.. " .ومما هو جدير بالذكر ، أن علماء ومفكري الإسلام لم يفردوا كتابات خاصة بنظريات وقيم الجمال المعماري على حدة ، ولكن تركوا لنا اعمال تضمنت نظرة جمالية عامة وطريقة فكر طبقوها على كل ما إمتدت إليه حواسهم من فنون ...ومن امثلة هؤلاء العلماء :أبو حيان التوحيدي ، الإمام الغزالي ، إبن سينا ...ومن العناصر المعمارية التي إحتفظ بها المسلمون نذكر على سبيل المثال :

- عنصر القبة :الذي لم يكن معروفاً لدى عرب الجزيرة كعنصر إنشائي قبل الإسلام وقد بقيت القبة كعنصر معماري لإتفاقه تماماً مع إحساس وطبيعة المسلم الذي طالما تطلع إلى قبة سماء الصحراء.

إن أول قبة في الإسلام هي قبة الصخرة ثم إنتشرت بعد ذلك في المساجد بصفة عامة ثم في قصور الخلفاء .. أي أنها من العناصر المميزة للعمارة الإسلامية .

- عنصر العقد :وهو عنصر معماري أستعمل في فن العمارة الإسلامية بصفة عامة مع بعض الإختلافات في النسب والسمات حسب روح الإقليم الذي ينشأ فيه فهو إما مدبب أو مخموس أو دائري أو مستقيم أو بيضاوي ...

- شكل الزاقورات :والتي تعتبر من اهم العناصر المعمارية في بلاد العراق ، فقد كان شكلها المعماري الذي يتدرج في الصغر كلما إرتفعت إلى أعلى وسبباً في أن تتخذ العمارة العمارة الإسلامية منها شكلاً لمئذنة المسجد ...

القيم الجمالية في العمارة الإسلاميـــــــــــــــــــة :

أولاً : مبدأ التكرار :من خلال دراسة السمات البيئية لشبه الجزيرة العربية نجد أن للصحراء بعناصرها المحددة المتكررة من الخيام والنخيل والكثبان الرملية – اثراً في ظهور هذا المبدأ حيث أن هذه العناصر تتكرر بلا ملل وذات نغمة واحدة متكررة ..أي أننا يمكن ان نستنتج أثر التكرار وإنعكاسه كسمة أساسية جوهرية في ، ... الفنون الإسلامية

ثانياً :مبدأ الإيقاع :ويعرف بأنه تكرار لعنصر على مسافات زمنية أو طولية متساوية أو منتظمة التدريج تصاعدياً أو تنازلياً – وقد عرف المسلم الإيقاع في الترديد المستمر لنظام حياته ومراقبته تحركات الشمس . والقمر والنجوم في السماء

أي أن الإيقاع في حياة الفرد علاقة وثيقة وأصل عضوي مع نظام الحياة ..وكذلك فن الأرابيسك الذي يعتبره . كانط "مثال للجمال في الفن الحر الخالص المتحرر من الغاية البعيد عن الإرتباط بغرض نفعي معين"

يقوم الأرابيسك على حركة الخط المستقيم والمنحني من خلال وحدة متكررة لا نهائية ويتضح الإيقاع في شكل الخط التجريدي للأفرع والأوراق ..ولقد كان للأرابيسك دوراً كبيراً في شغل معظم مساحات الأسطح في ..العمارة الإسلامية ..فأعطانا هذا التأثير بالحيوية والغنى التشكيلي

ثالثاً :مبدأ التجريد : وهو المبدأ الذي غلب على فنون العرب وخاصة بعد ظهور الدين الإسلامي وقد أرجع معظم الباحثين مبدأ التجريد لعناصر التشكيل الجمالي إلى إلتزام المسلمين بمبدأ تحريم رسم أو صنع ماله نفس طبقاً لتعاليم الإسلام وهو لا يعبر عن حرفية الشكل وتفاصيله الطبيعية ، بل يعبر عن روح هذا الشكل ...وجوهره وبهذا تحققت للفنون الإسلامية سمة مميزة سادت في مختلف أرجاء بلاد الإسلام

رابعاً :مبدأ الوحدة والتنوع :من المبادئ التي تضمنتها ايضاً القيم المعمارية عند المسلمين مبدأ "الوحدة مع . التنوع "فقد حفلت العمارة الإسلامية بأمثلة عديدة تحقق فيها هذا المبدأ

هذا ومازال مبدأ الوحدة والتنوع مطبقاً على فن الأرابيسك، حيث شغلت فراغات وحداته الهندسية بوحدات .زخرفية متنوعة أثرى الشكل في غير ملل

خامساً :مبدا إستخدام اللون :للون قيمة واضحة عند الفنان المسلم ، فرغم قلة مجموعة الألوان فلقد شاع إستعمالها في الأعمال الفنية مثل الأعمال الفسيفساء ، والسجاد والأرابيسك .....إلخ.

ولقد كان للألوان عند المسلمين معاني ودلالات ، وقد أبدع الفنانون المسلمون في تجميع الألوان توافقات رائعة ، غنية تميز بها الفن الإسلامي .

سادساً :مبدأ إستخدام النسبة والتناسب :كان للعرب المسلمين إهتماماً بالغاً بالنسب والتناسب ووجدوا في إتباعها في أعمالهم الفنية تكيفاً مع خطة وحكمة الخالق في خلقه .

وهي ثلاثة انواع : إما بالكمية أو الكيفية أو بهما جميعاً .

أما :عن إستخدام النسبة في الأعمال الفنية فنقول ان "أحكم المصنوعات وأتقن المركبات واحسن المؤلفات ما كان تركيب بنيته وتأليف أجزائه على النسبة الأفضل .والنسب الفاضلة هي المثل ، والمثل ونصف ، والمثل والثلث،والمثل والربع ، والمثل والثمن...

هذا وقد أستعمل المسلمون هذه النسب وطبقوها في أعمالهم المعمارية بهدف تحقيق التناسبات الأجمل والأكمل مثل "المسقط الأفقي لمسجد السلطان حسن بالقاهرة "كما ترددت أيضاً تلك النسب الفاضلة في تناسبات عناصر المسكن.

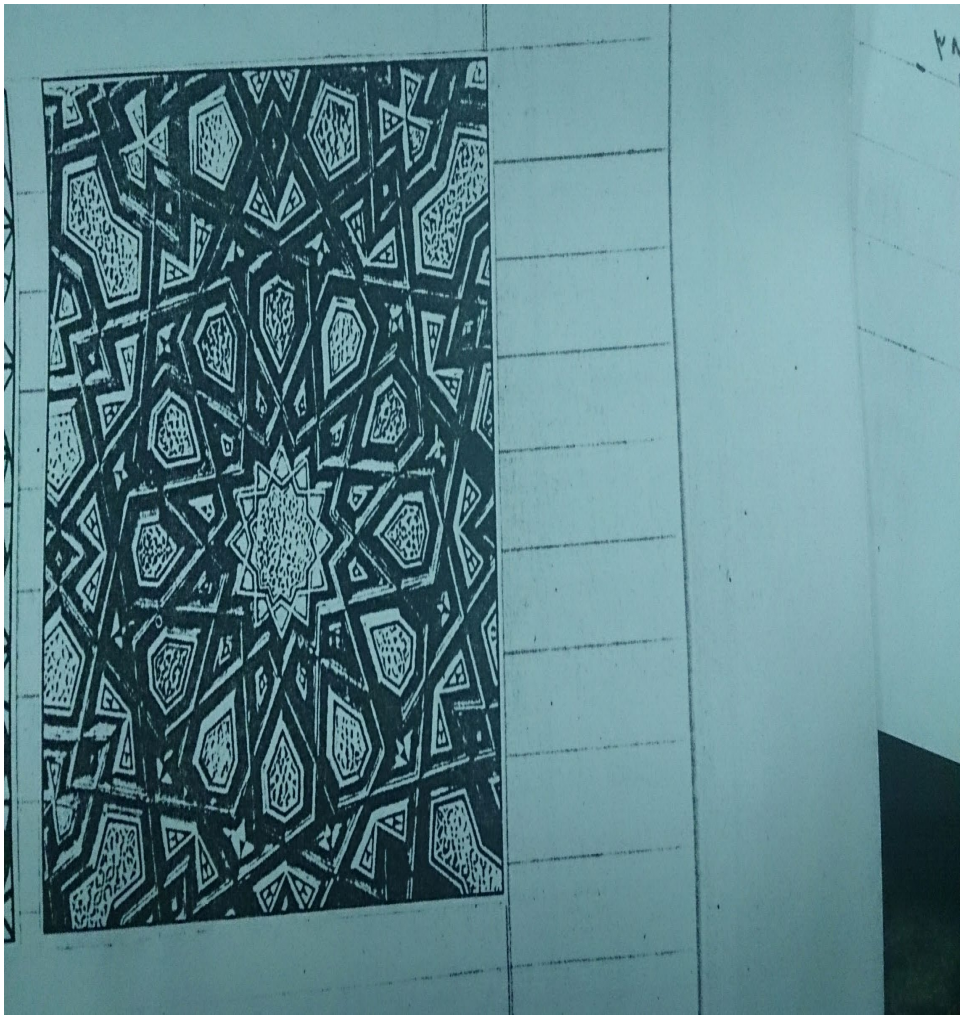

شكل يوضح نموذج من الأطباق النجمية من منبر مسجد قايتباي بالقاهرة.

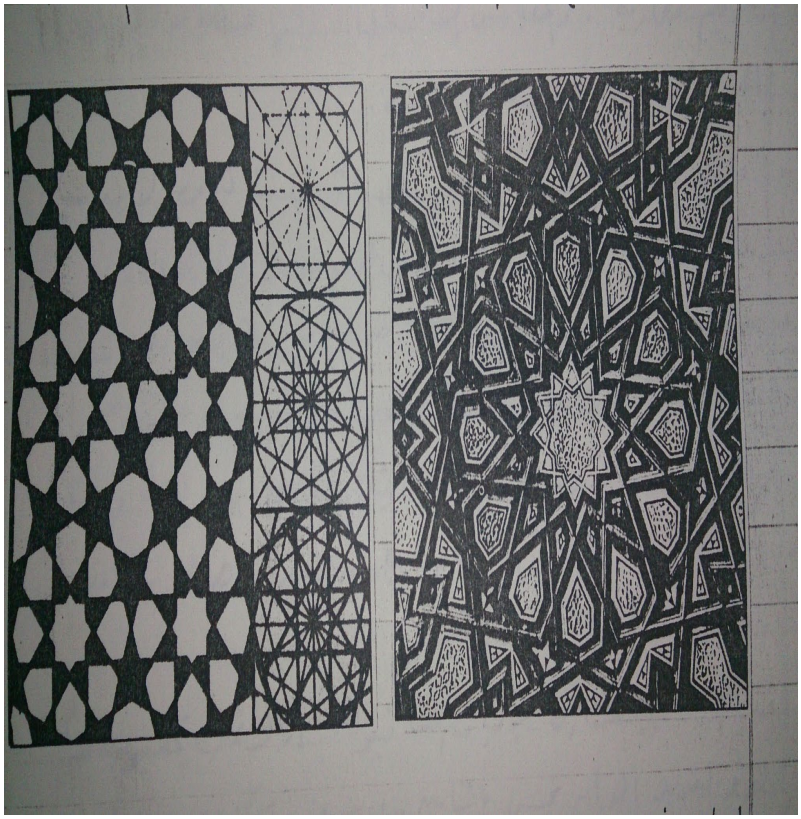

. شكل يوضح طرق تكوين الأطباق النجمية

ولقد شاع في أوروبا منذ عصر النهضة أن العمارة ذات القيمة الفنية العالية هي تلك التي تجمع بين الضخامة والإتساق والوحدة الزخرفية، وفي كثير من الأحيان تضاف إليها الرصانة والجلال.

–: ولا شك ان ضخامة البناء وفي العمارة الإسلامية كانت عنصراً ذائعاً ومثال ذلك

" مسجـــــــد السلطـــــان حســـــن ومدرستـــــــه "

الذي يهوي الناظر لفرط ضخامته :حتى كان السلطان حسن نفسه يباهي بأن إيوان مدرسته يفوق عقد المدائن "إرتفاعاً ، مما يؤكد الإنطباع لدى زائرها بأن }إيوان مدرسته يفوق عقد المدائن {ضخامتها لم تأت " عفواً وتستمد مدرسة السلطان حسن جمالها من رافدين ..بنيانها نفسه وما يحتويه من قيم معمارية .... والمقياس الإنساني ..إنها حقاً لقطعة من الفن المعماري الجرئ يغني تأمله عن الإفاضة في وصفه.

ويعتبر مسجد السلطان حسن أكمل اثر خلفته لنا مصر الإسلامية وأجدر صرح يمكن مقارنته بآثار مصر الفرعونية من الدولة القديمة ..

وقد قال جاستون فييت حين وقف في نفس الموقع وهو الجانب من الجامع الذي أقيمت عليه المدرسة وأخذ يردد وهو ينقل البصر بين قلعة محمد علي ومدرسة السلطان حسن إن من يتأمل البنائية ، تبدو القلعة في عينه جاثمة تستعد للوثوب والإنقضاض على حين تبدو المدرسة هادئة شامخة متعالية ترنو للقلعة المتحدية في شموخ الواثق دون مبالاة.

ويستطرد فييت شارحاً جماليات المبنى فيقول "إنا لا نملك تجاه هذا الأثر الفريد إلا أن نحس بأننا بين يدي مايسترو يعزف أجمل السيمفونيات ، إشترك فيها الأوركسترا بكافة عناصره في عناية ودقة بالغتين " .

وبالرغم من هذه الضخامة فقد عرف المعماري كيف ينقل تأثيره إلى أعماق النفس بإخضاع العناصر الزخرفية للمفهوم المعماري ككل بحيث تصبح خادمة له ساعية بين يديه.

المراجـــــــــع

1 – الفن الإسلامي :أصوله ، فلسفته ، مدارسه .– أبو صالح الألفي – دار المعارف.

2– القيم الجمالية في العمارة الإسلامية .د.ثروت عكاشة – 1994 – دار الشروق .– مصر.

3– تاريخ المساجد الأثرية – د.حسن عبد الوهاب – 1946– مطبعة دار الكتب المصرية .– مصر.

4– الرسوم الهندسية للعمارة الإسلامية – د.حسن عبد الوهاب.– مطبعة دار الكتب المصرية .– مصر.

5– نظريات وقيم الجمال المعماري – م .ألفت يحيي حمودة – 1981 – دار المعارف – مصر.

6– التصوير عند العرب – د .زكي محمد حسن – دار المعارف – مصر

7– فنون الإسلام – د .زكي محمد حسن – دار المعارف – مصر

8– العمارة الإسلامية في مصر – د .كمال الدين سامح – مصر